مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 10/ العـدد: 01 جوان (2026)، ص.ص207-216

المرونة الحجاجيّة في الخطاب القرآني

Argumentative Flexibility in Quranic Discourse

سميّة وفاء بن سديرة*
ouafa.bensedira@univ-tissemsilt.dz
جامعة تيسمسيلت- أحمد بن يحي الونشريسي.
مخبر الدّراسات اللّغوية العربية واللّسانيات الحديثة (الجزائر)

محمّد بوعرعارة
mbouarara@yahoo.fr
جامعة تيسمسيلت- أحمد بن يحي الونشريسي

تاريخ الاستلام: 2026/03/01 تاريخ القبول: 2026/04/19 تاريخ النشر: 2026/06/02

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية مسألة المرونة في الحجاج باعتبارها خصيصة لازمة للاستدلال في الخطاب، تجعل منه فعلاً تواصلياً موجّهاً يقوم على ثنائية الإقناع والتأثير، ومركزين على قدرته في فتح آفاق للتفاعل بين الباث والمتلقي في جو من الحريّة والمعقوليّة.

ومن هذا المنطلق، يقدّم الخطاب القرآني نماذج يمكن مقاربتها وفق منظور حجاجيّ، باستثمار الآليات اللغوية والبلاغية في تحليلها، للكشف عن إعجازه في بناء وتوجيه المعنى عبر سياقات متعددة، وهي القضية التي نسعى للإجابة عنها بطرح التساؤل الآتي: كيف يمكن فهم اشتغال المرونة الحجاجيّة في الخطاب القرآني دون أن يُفضي تنوعها المقامي إلى المساس بثبات المقاصد الإلهية؟

كلمات مفتاحية: مرونة؛ حجاج؛ خطاب؛ استدلال؛ تفاعل.

Abstract:

This paper discusses the argumentative flexibility that is vital for reasoning in discourse to make it a communicative act based on the duality of persuasion and influence. In this regard, we focus on its ability to open new horizons for interaction between the sender and the recipient in an atmosphere of freedom and rationality.

The Quranic discourse provides models that can be approached from an argumentative perspective using the linguistic and rhetoric mechanisms for analysis to unveil its miracles in constructing and directing meaning in different contexts. Based on what was said, we raise the following question, "how can we understand the work of the argumentative flexibility in Quranic discourse without effect on the fixed divine purposes?"

Keywords: *Flexibility; Argumentation; Discourse; Reasoning; Interaction.*

- مقدمة:

*المؤلف المرسل.

يشكّل الحجاج أحد أبرز القضايا في التفكير الإنساني، إذ أصبح محطّ تجاذب بين مختلف الحقول المعرفيّة اللسانيّة والبلاغيّة والفلسفيّة. وإذا كانت الدّراسات اللّسانية الحديثة ضمن حقل تحليل الخطاب قد أعادت توجيه الاهتمام إلى الكلام وظروف الاستعمال اللّغوي ــ وهي الجوانب التي أغفلتها المقاربات اللّسانية السّابقة البنوية منها والتوليدية ــ فإنّ ذلك أعاد للحجاج مكانته باعتباره مرتكزا في الدّراسات التداولية كأداة لفهم الكيفية التي يتم بها إنتاج الأقوال وتلقيها وتوجيه المعنى بما يفتح آفاقًا للتفاعل الفعّال بين مختلف عناصر الخطاب التواصلي.

وتُعدُّ المرونة سمةً أساسيّةً في الحجاج، إذ تجعل من الاستدلال فعلاً تواصليًا ناجعًا، سواء وُفق في إيصال المقصد أم لم يُوفّق، دون فرض أو قيد.

وتتجلّى هذه المرونة في الخطاب القرآني من خلال نماذج حافلة بالآليات اللغوية والبلاغية والتي آثرنا تطبيقها على نموذج منتقى من الآي العظيم.

1. الحجاج كمفهوم متعدد الأبعاد:

يُعدّ مفهوم الحجاج من أكثر المفاهيم التباساً، لتعدّد المقاربات وتباين المنطلقات التي تناولته؛ بين ما هو بلاغي، لساني، فلسفي ومنطقي... غير أنَّ هذا التّعدد لا يُعد تباينا بقدر ما هو إثراء يعكس ويكشف عن طبيعة الحجاج المرنة، وقدرته القابلة على استيعاب تداخل أبعاد معرفية تتقاطع وجوهره المفهوميّ.

وعلى هذا، فإننا ننصرف إلى مقاربة المفهوم الوارد في أدبيات الدّرس التّداولي الحديث، الذي يُمكّن من فهم الحجاج وكيفية ممارسته في سياقات تواصلية مختلفة، بوصفه ضرورة إنسانيّة ماثلة في جميع الخطابات التي يتواصل بها الناس في كل مناحي الحياة. وقد أتاح هذا المنظور النّظر إلى الحجاج بوصفه مفهومًا مرناً قابلاً كلَّ التأويلات تبعاً للأُطر المعرفيّة التي تناولته، ومن أبرزها المنظوران البلاغي واللّغوي اللّذان يُجسدان تجلّي المرونة في الخطاب.

1.1 البعد المرن في الحجاج البلاغي:

يمثّل كتاب " **مصنف في الحجاج** " *Traité de l'argumentation*لمؤلفيه شاييم برلمان *Chaïm Perelman*وأولبريخت تيتيكا *Lucie- Olbrechts- Tyteca*الصادر سنة 1958 لدى كثير من الباحثين في حقل تحليل الخطاب، تحولاً نوعياً أعاد الاعتبار للبعد المرن في البلاغة بعد أن همشتها النَّزعة المنطقية الصُّورية؛ التي قيّدت الخطاب بضرورات الحتميّة واليقين، إذ حرّر هذا التّصور البلاغة من صرامة الاستدلال وقيد الاستنباط المنطقي، وأعادها إلى فضاء التفاعل التّداولي.

نظر برلمان وتيتيكا في مشروعهما البلاغيّ إلى الحجاج على أنه "معقوليّة وحريّة، وحوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة من أجل حصول التسليم برأي آخر"[1]. فالبلاغة في منظورها الحجاجيّ تقوم على الاقناع الذي يحمل المتلقي على قبول اختلاف وجهات النظر، لا على الالزام الصّارم.

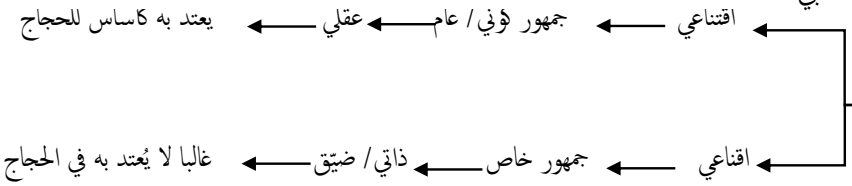
ويعدّ الخطاب مجالاً تواصليًا للحجاج يقوم على أساس التّفاعل بين أطرافه، حيث يصبح المتلقي عنصرًا فاعلاً فيه لا متلقٍ سلبيّ له، إذ يسعى المتكلّم إلى كسب امتثال المتلقي لطرحه، بالاعتماد على قيم ومعايير مشتركة مستمدّة من السّياقات الاجتماعية والثّقافية.

وتتجلّى مرونة الحجاج في الانفتاح على الحوار والتفاعل مع المتلقي، وفي قبول اختلاف التّصورات والمواقف، ممَّا يجعله ممارسة دينامية غير منغلقة على نموذج معياريّ واحد، بل تتكيّف وفق طبيعة الخطاب. وفي هذا الإطار قدم بيرلمان وتيتيكا مفهوما دقيقاً للحجاج البلاغيّ على أنّه:" دراسة التّقنيات الخطابية التي تفضي إلى قبول الأذهان بالأطروحات التي تُعرض عليها أو تعمّق درجة ذلك القبول"[2].

كما يشيران إلى أنّ غاية كل حجاج هي "أن يجعل العقول تُذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما يجعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب"[3] وبهذا يتجاوز الحجاج من كونه مجرد نقل أو اخبار إلى كونه فعلاً تواصلياً يهدف إلى خلق حالة من التأثير والاقناع لدى المتلقي، سواء بحمله على فعلٍ أو صرفه عنه أو تهيئته لذلك في الوقت المناسب له.

وقد ميّزا وجهين للحجاج على حسب جمهور التلقي[4]: الأول يقوم على الاقناع *La Persuasion* والذي يوَجَّه إلى جمهور خاص *Auditoire particulier*والثاني على الاقتناع *La Conviction* والذي يوَجَّه إلى

الجمهور الكوني *Auditoire Universel* ويُظهر هذا التمييز جانبا من المرونة في مراعاة طبيعة المتلقي وضبط قوة الحجَّة وفق المقام التَّخاطبي.



الوثيقة01: مخطط يبرز نوعي الحجاج حسب جمهور التّلقي

على عكس الجمهور الكوني، لا يفهم التمييز بين الاقتناع والاقناع أن الحجاج يلغي أحدهما الآخر، إنّما يعاد تأويله تبعا للمقام وعناصر المتفاعلة، فحينما يُتوجَّه بالخطاب إلى الجمهور الخاص- يشترك مع المتكلِّم في خلفيات اجتماعية، دينيّة، ثقافية...- يأخذ فيه الحجاج طابعًا إقناعيا لا اقتناعيا؛ ذلك أن الحجج تبنى على الاشتراك القيمي أكثر من الالزام المنطقي.

وعليه، فإنه يمكن القول أن البعد المرن في الحجاج البلاغي يتجلّى في الخطاب باعتباره فعلا تواصلياً يسعى إلى إرضاء الأطراف المتفاعلة فيه، في جو يسوده الاقناع والتفاهم لا الالزام والسّطوة والهيمنة.

1.2 البعد المرن في الحجاج اللغوي:

تستند المقاربة الحجاجية عند أوزوالد ديكرو *Oswald Ducrot* وجون كلود أنسكومبر *J-C-Anscombre* إلى المسلّمة الأساس التي ترى أن اللُّغة حجاجية في ذاتها، وأنَّ كلَّ ملفوظ فيها ينضوي على بعد حجاجيّ كامن في بنيتها الداخليّة، على اعتبار أن "الوقائع الحجاجيّة مكونات للبنية الداخليّة للغة... وأنه من الممكن وصف قيم الصدق الموسومة بها الأقوال باعتبارها أقوالاً مشتقة من القيم الحجاجيّة"[5] ، وذلك بتجاوز التصور الاخباري للأقوال اللُّغوية على أنَّها واصفة للواقع، إلى النظر إليها بوصفها أفعالاً لدواعٍ حجاجيّة موجّهة من متكلمٍ نحو متلقٍ ضمن غاية تداوليّة محددة.

ومن هذا المنطلق، يُعدّ كلّ استعمال لغوي فعلاً حجاجيًا محضاً؛ إذ يغدو "الخطاب غاية الحجاج لا أداة له فحسب"[6] ؛ فحينما يُقدِّم المتكلّم قولاً فهو بذلك لا يسعى إلى نقل معلومة فقط، بل إلى حمل المتلقي على قبول طرح أو تبنّي موقف سواء أكان ظاهرًا أم ضمنيًا.

وقد وضّح ديكرو وزميله هذه الرؤية فـ "حينما نصف خطابًا بأنّه حجاجيّ، هذا يعني أنه يتكون من ملفوظيْن على الأقل: (م1) و(م2) يُسند أحدهما الآخر، يُسمّى الملفوظ الأول حجة والثاني نتيجة" [7]؛ فتُبنى العلاقة الحجاجيّة على هذا التفاعل بين ثنائية حجة/ نتيجة.

يجعل هذا التَّصور من البنى الحجاجية وحدات أصيلة في البناء اللغوي، لا مجرد أدوات مضافة إليه؛ إذ تتضمّن - عوامل، روابط، مواضع وسلالم- إرشادات تُحدد القيمة الحجاجية للملفوظات وتوجّه تأويلها في سياقها التَّداولي " فالوِجهة الحجاجيّة هي الاتجاه المسند إلى الجملة"[8]. وبهذا يصبح التأويل عملية مؤطَرةً عند المتلقي وموجَّهة بها؛ في الوقت ذاته يظلُّ منفتحًا على احتمالات تأويلية تضبطها عناصر المقام التخاطبي.

هذا التّوجيه الحجاجي لا يفضي إلى إغلاق المعنى، بل يتفاعل مع انفتاح تأويلي ما يمنح اللُّغة مرونتها؛ وهنا تتجلّى في الخطاب ثنائية -تقييد/انفتاح- في إنتاج الأقوال وتلقيها؛ فالمتكلّم من جهة؛ يوظّف وحدات حجاجية في بنائه اللغوي ليمارس توجيهاً يحصرُ به المسالك التأويلية الممكنة للفهم دون تقييدها بتأويل وحيد. ومن جهة أخرى، يتيحُ هذا التّوجيه حريّة للمتلقي، في إعادة بناء المعنى بالاتكاء على خلفيته المعرفية وكفاءته التأويليّة- ضمن الحدود التي سطرها المتكلّم له في الخطاب؛ ما يُنشئ فعلا حجاجيًا مرنًا يوازن بين طرفي التوجيه في إطار استعمالي دقيق.

2. الاستدلال بين البرهان والحجاج:

يشكل الاستدلال مفهوما مشتركا بين مجالات معرفية عدّة، كالمنطق واللسانيات وغيرها، غير أنّ تمثّلاته تختلف حسب المقاربات التي تناولته؛ ففي التّصور الصّوري المنطقي يُقارَب بصفته برهانًا ينتهي إلى نتائج حتميّة مبنية على

مقدّمات يقينيّة، في حين أن الخطاب الطبيعي يُمارسه بصفته حجاجًا داخل سياق استعمالي، هذا الاشتراك الاصطلاحي كثيرا ما يُفضي إلى خلط مفهومي بين البرهان والحجاج على الرغم من اختلافهما ووجود فروقات بيّنة في الغاية والمنهجيّة. وهو ما يستدعي ضبطاً دقيقاً للمفهومين في تحليل الخطاب.

لقد حصر أوليفي روبول في مقاله: "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟"، الفرق بين ما يميّز الحجاج عن البرهان في خمسة ملامح[9]:

1. أن يتوجه إلى مستمع.
2. يُعبّر عنه بلغة طبيعيّة.
3. مسلماته احتماليّة.
4. لا يفتقر في تناميه إلى ضرورة منطقيّة.
5. نتائجه ليست ملزمة.

يقوم البرهان في نسقه الصّوري على الانتقال الشكلي من المقدمات نحو النتائج وفق قوانين منطقيّة صارمة، دون الالتفات إلى محتوى العبارات والمبرهنات أو سياقها التخاطبي، وعلى الرغم من صياغته في قالب لغوي، فإنه يظل خاضعا لمنطق هذا النسق المغلق ويراهن على العلاقات الشكليّة بين القضايا لا على المقام التخاطبي، إذ ينطلق من المبرهنات السابقة لبناء مؤلفات برهانيّة جديدة، تسوق إلى متوالية متولّدة نتيجة لتطبيق القواعد المنطقيّة[10].

في المقابل، يتكئ الحجاج على البرهان في شكله الاستدلالي، غير أنه يعيد إدراجه ضمن منطق تداولي مرن، إذ يقوم الحجاج على تعالق للملفوظات وترابط للحجج في بناء المعنى وتوجيهه وفق منطقٍ رخْوٍ ضمن الخطاب الطبيعي لا وفق قواعد صارمة، فبخلاف البرهان يقتضي الحجاج وجود طرفي التفاعل مع مراعاة مقتضيات المقام والقصد[11]؛ ما يجعله ممارسة تداولية مرنة تتجاوز الانغلاق الصوري للبرهان إلى فعل تواصلي متبادل بين متكلمٍ ومتلقٍ.

3. المرونة في سلطة اللغة الحجاجيّة:

إنَّ طبيعة الحجاج الموسوعيّة لا يمكن أن تُختزل بوصفها سلطة صلبة تلزم المتلقي عند مستوى التأثير الخطابي فحسب، بل تمارس بوصفها سلطة رخوة تتوزع في مستويات متداخلة ضمن البنية اللغوية، ما يمنحها طابعًا مرنًا؛ هذه المرونة لا تعد ضعفا إنما انعكاسًا لقدرة اللُّغة على التكيُّف مع مقام التخاطب، فالمتكلّم لا يفرض الحجة، بل يبنيها باستثمار أدوات لغوية توجّه المعنى وفق مقصده التداولي.

هذا ما أقرّه ديكرو من خلال حديثه عن توجيه سلطة الخطاب في اللغة، "فالوجهة الحجاجية هي الاتجاه الذي (يعيّن) للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره، إن الوجهة الحجاجية هي خاصية من خصائص الجملة، موضوع أداء القول، وهي التي تحدد معنى القول"[12] ، في حين يُفعّلُ المتلقي بدوره الحجة الواردة ضمن أفقه التداولي، ما يضفي على اللغة سلطة تفاعليّة يعيد بها بناء المعنى المراد بعيدا عن الإلزام.

4. مسلك المرونة الحجاجيّة في الخطاب القرآني:

كما هو الحال في الخطابات الدينية الزاخرة بنماذج المرونة الحجاجية، يعدُّ الخطاب القرآني نموذجا يبرز تجلّي هذه المسألة داخل السياق، وهذا ما نجده متمثلا في المدونة المنتقاة ومن ذلك- الآية 177 من سورة البقرة- إذ تأتي الآية ضمن سياق تصحيحي للتصورات السّابقة عن مفهوم البّر وإعادة بنائه انطلاقا من وحدات لغوية توجّه المعنى نحو مفهوم بديل وتفتح آفاقًا أكثر عمقا للقراءة والتأويل.

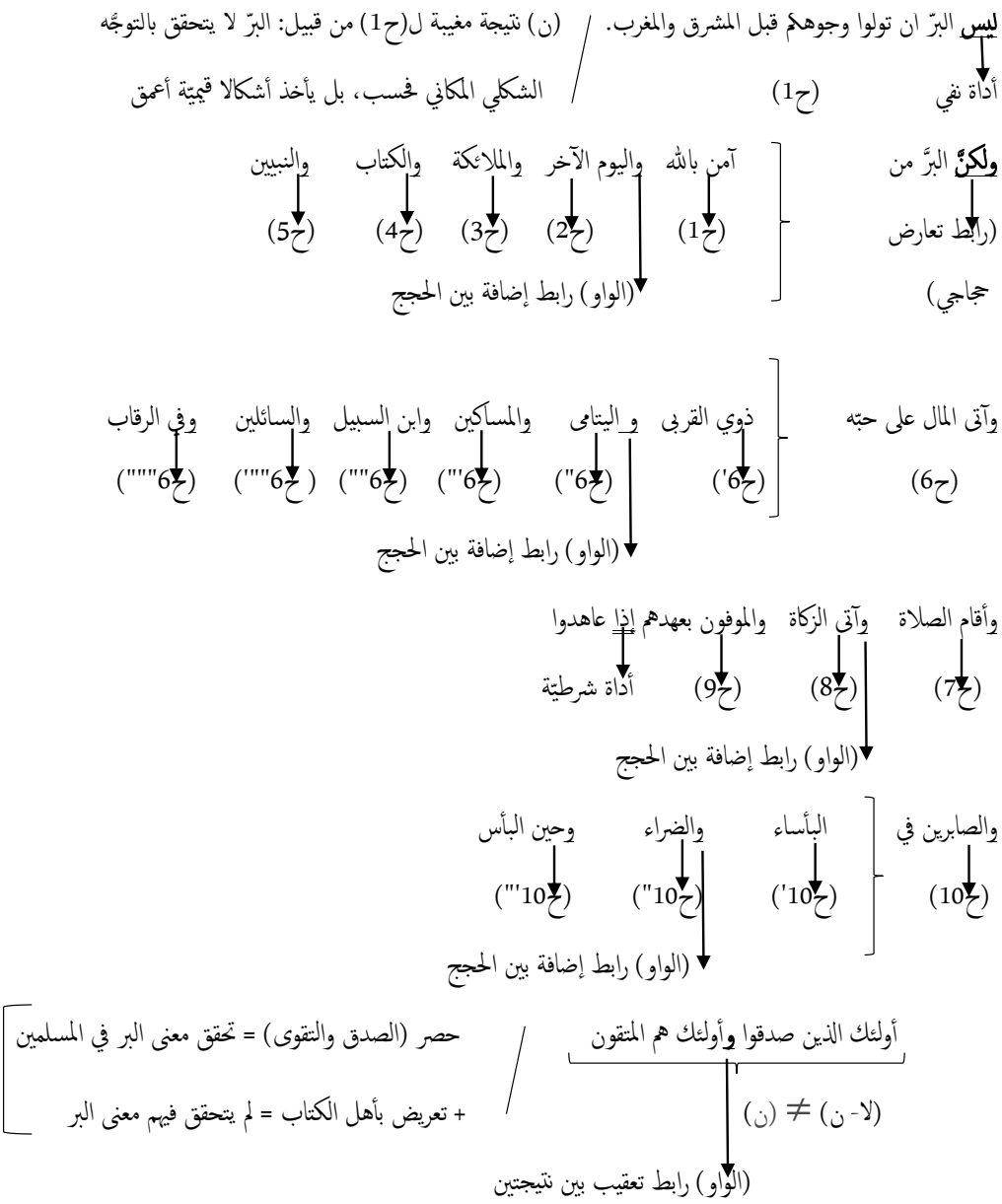
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ١٧٧﴾ [البقرة: 177].

تبتدئ الآية بأداة النفي "ليس" لنفي تصور سابق وشائع عند أهل الكتاب؛ يقول الطاهر بن عاشور في معرض حديثه عن هذه المسألة أنه نفى الاختزال الطقوسي في جهة الصلاة هذا النفي على معنى نفي الكمال لأنه من الوسائل لا

المقاصد، أو لأن المنفي عنه البّر هو استقبال قبلتي اليهود والنصارى[13]؛ هذا النفي لا يلغي فعل "البّر" إنما يُعيد طرحه ضمن حدود أوسع وأطر أعمق من الاقتصار على بنية شكليّة ظاهرية، وهذا ما يفتح المجال لتأويل جديد دون إحداث قطيعة كاملة مع ما سبق.

تتجاوز الأداة "لكنّ" الربط النحوي إلى ممارستها توجيها يقلب الإمكانيات الحجاجية السابقة، فهي كما طرحها ديكرو في نظريته؛ رابط تعارض حجاجي وذلك برفض ما قبلها وتبني ما بعدها؛ ويظهر ذلك بنقض التصور الشكلي للبر وتوجيه المتلقي عبرها إلى جوهر التصور الحقيقي له. فتعكس ثنائية (نفي /إثبات) هذا التصور وتوجه ذهن المتلقي إلى تبني القضايا التي تليها.

تظهر الآية تدرجا للحجج بعد رابط التعارض "لكن"، وبتسلسلها وفق مسار تصاعدي تتراكم القيم ويعاد بناؤها تدريجيا وعطفها على بعضها البعض باستعمال " الواو" – في جل الآية- بجمع الحجج ذات التوجه العقدي " الايمان بالله، اليوم الآخر، الملائكة، الكتاب، النبيين"، والحجج ذات التوجه الاجتماعي" آتى المال، ذوي القربى، اليتامى، المساكين، ابن السبيل، السائلين، في الرقاب" والحجج ذات التوجه الشعائري" إقام الصلاة، ايتاء الزكاة" والحجج ذات التوجه الأخلاقي " الموفون بعهدهم، الصابرين..." هذا التراكم الحُجَجِي وتعدده يظهر مرونة التوجيه؛ إذ لا يقتصر البر على بُعد واحد من أبعاده فهو بهذا لا يقصي متلقي الخطاب القرآني من المشاركة في تلقيه على الوجه الذي ينشده الله وينشده رسوله بشكل متكامل يوازن بين العمل والعقيدة.



الوثيقة 02: مخطط يبرز البنية الحجاجية وتراكمها في السياق القرآني

تختتم الآية " أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون" كنتيجة تتوّج الآية بأكملها؛ ويفيد تكرار "أولئك" تأكيدا على أن جميع القضايا بعد " لكن" متبناة؛ إذ نعتبرها تجسيدا للصدق في مطابقة القول للفعل، ثم تأتي " المتقون" كنتيجة أخرى تعمّق قيمة الصدق بالتقوى فتغلق السلسلة الحجاجيّة بربط البر بالتقوى، ما يجعل الحجاج يتجاوز حدود إقناع المتلقي إلى إحداث توجيه يغيّر بصفة شاملة تصوراته انطلاقا من إعادة بنائها على أسس قيميّة متعددة.

وبهذا تغدو البنية اللغوية الحجاجية في الآية بنية موّجهة تُتجاوز إلى تشكيل وعي المتلقي وتصوراته ونوازعه، ومرنة في الآن ذاته بقدرتها على تمكينه من إعادة بناء المعنى وفق تجربته الإيمانية، فيتجلّى التفاوت بين الفهم والتأويل دون أن يخلّ بالمقصد الفعلي للآية. ما يجسّد المرونة الحجاجيّة في التوازن بين ثبات المقصد الإلهي والتأويل البشري.

على خلاف ما تقدم في مثال سورة البقرة من بناء حجاجي قائم على ثنائية نفي/إثبات وما ترتب عنها من إعادة تشكيل لمفهوم البِّر عبر تراكم الحجج وتعدّدها، فإنَّ الخطاب القرآني لا يقتصر على هذا النّمط من البناء الحجاجي، بل يتخذ مسالك حجاجيّة أخرى مغايرة.

ويتجلّى ذلك في الآيات 57-61 من سورة المؤمنون، إذ تقوم على بناء حجاجيّ يتأسس عبر مجموعة من الآليات اللّغوية التي تتجاوز وظائفها النّحوية إلى الإسهام في إنتاج المعنى وتوجيهه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ٦٠ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ٦١﴾ [المؤمنون: 57-61]

تُفتتح الآيات بأداة التوكيد "إنَّ" التي تؤدي وظيفة تثبيتيّة للقضية الحجاجيّة وتمنحها قوة إذ يُقدَّم الخبر في صيغة تأكيد تُهيئ المتلقي لاعتبار ما يليها حقيقة قيميّة.

يتوالى الخطاب بتعزيز هذا التوجيه من خلال تكرار الموصول "الذين" والذي لا يقتصر دوره على الربط بين الجمل فحسب، بل يبني سلسلة حجاجيّة متتابعة تُرسّخ صفات المؤمن وتحوّلها من قضايا متفرقة إلى نماذج سلوكيّة متكاملة، وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى أن افتتاح هذا الموضع باسم الإشارة مقصود به زيادة تميز هؤلاء في ذهن المتلقي لأن أمثالهم أحرياء بأن يعرفوا [14].

يتدرّج الخطاب من وصف الحالة الإيمانية للمؤمن (الخشية، الإشفاق) إلى تثبيت البعد العقدي (الإيمان بالآيات، نفي الشرك)، ثم إلى تمثُّل السلوك العملي له (الإتيان، وجل القلوب) في مسار تدرجيّ يُبنى عبره المعنى بطريقة تتابعيّة داخل الخطاب.

ويُتوَّج هذا البناء الحجاجي باسم الإشارة " أولئك" والذي يُفيد الانتقال من عرض الحجج متمثلة في صفات المؤمن إلى تركيب النتيجة الحجاجية، إذ يُحيل إلى مجموع ما سبق من الحُجج باعتبارها مبررات للنتيجة اللاحقة (الإسراع في الخيرات والسبق إليها). وبذلك تأتي النتيجة بوصفها محصلة منطقيّة لتدرج الحجج(الصفات) مما يعكس ترابطًا داخليا بين الحُجج والنتائج.

وعليه، يتضح أن الخطاب القرآني في هذه الآيات يقوم على مرونة حجاجيّة تتجلّى في تنوع الآليات بين التوكيد، التكرار والتدرّج مع بقائه محكوما بمقصد وغاية موحدة متمثلة في ترسيخ صورة المؤمن السابق لفعل الخيرات وهو ما يُظهر التوازن بين تعدد الآليات الحجاجيّة وثبات الغايات الدلاليّة.

ويتأسس البناء الحجاجي في آيات سورة المؤمنون على تدرج حجاجي يظهر جليّا في الانتقال من الحالة الشعورية في بُعدها النفسي إلى السلوك العملي لها، ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط الآتي:



الوثيقة 03: مخطط يبرز البنية الحجاجية وآليات تدرجها في السياق القرآني (57-61 المؤمنون)

يكشف هذا المخطط عن كون المرونة الحجاجيّة في هذا المثال قائمة على تدرّج وتنوع آليات الاشتغال داخل الخطاب القرآني، حيث تتعدد الوسائل وتتباين الآليات في حين يظل المقصد الدلالي موجّها نحو بناء تصوُّر قيميّ متكامل.

وبذلك يتبيّن أنَّ الخطاب القرآني في النماذج المنتقاة لا يقوم على نمط حجاجيّ واحد، بل على تعدد آلياته بين التَّراكم والتدرّج، ما يُتيح بناء معنى داخل نسق قيمي متماسك، وهو ما يفتح المجال للنظر في العلاقة بين المرونة الحجاجية في البناء اللغوي وثبات المقاصد الدلاليّة في الخطاب القرآني.

- **خاتمة:**

انطلاقا مما بُسط في ثنايا هذا البحث، واستنادا إلى المدونة المنتقاة، أفضى بنا إلى جملة من النتائج التي نجملها في النقاط الآتية:

- يعد الخطاب وسيلة الحجاج ومنتهاه في آن واحد، إذ يقوم على بنية استدلالية توجه المتلقي نحو غايته.
- الاستدلال في الخطاب الطبيعي هو حجاج بالمعنيين اللغوي والبلاغي معا.

- الخطاب القرآني لا يترك المتلقي يقدر المسألة كيف يشاء، إنما يتدخل بالحجج الموجهة تبلغ به النتيجة المرجوة دون إكراه.
- تمارس اللغة سلطتها المرنة من خلال البنية الحجاجيّة التي توجهها وتضبط أطرها لدى المتلقي لإعادة بناء تصوراته في النماذج القرآنية.
- المرونة في الخطاب القرآني لا تعني الخوض كيفما نشاء في القضايا، إنما تبقى نصوصًا محفوفة بهالة القدسيّة لأن كل القضايا فيها مسنودة بحجج وبراهين داعمة.

-. قائمة الإحالات:

[1]- عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال " مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا" ضمن كتاب:" أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، منوبة تونس، ص298.

[2]- *Chaïm Perelman ; Lucie Olbrechts- Tyteca : Traité de L'argumentation. La nouvelle rhétorique ; éditions de l'université de Bruxelles ; 6ieme Edition (2008) ; p05.*

[3]- عبد الله صولة: نفسه، ص 299.

[4]- ينظر: عبد الله صولة: نفسه، ص301.

[5]- جاك موشلر؛ آن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة إشراف: عز الدين مجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس،2010، ص321.

[6] *-Jean- Claude Anscombre ; Oswald Ducrot: L'argumentation dans la langue ; Pierre Mardaga ; Bruxelles ; P07.*

[7] *-Ibid: P163.*

[8]- جاك موشلر؛ آن روبول: نفسه، ص338.

[9]- ينظر: أوليفي روبول: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، تر: محمد العمري، مجلة: علامات في النّقد، عدد22، ديسمبر 1996، ص77.

[10]- ينظر: رشيد الراضي، الحجاج والبرهان، ضمن كتاب:" الحجاج مفهومه ومجالاته"، إشراف: حافظ اسماعيلي علوي، ج1، ط1(2010)، ص186.

[11]- ينظر: حسان الباهي، اللغة والمنطق، منشورات ضفاف، ط1(2015)، ص117.

[12]- جاك موشلر وآن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص337.

[13]- محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج2(1984)، ص128.

[13]- ينظر: محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج18(1984)، ص78.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أوليفي روبول: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، تر: محمد العمري، مجلة: علامات في النّقد، عدد22، ديسمبر 1996.
2. جاك موشلر؛ آن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة إشراف: عز الدين مجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس،2010.
3. حسان الباهي: اللغة والمنطق، منشورات ضفاف، ط1(2015).
4. رشيد الراضي: الحجاج والبرهان، ضمن كتاب:" الحجاج مفهومه ومجالاته"، إشراف: حافظ اسماعيلي علوي، ج1، ط1(2010).

5. عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال " مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا" ضمن كتاب:" أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، منوبة تونس.
6. محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج2/ ج18(1984).
7. *Chaïm Perelman ; Lucie Olbrechts- Tyteca : Traité de L'argumentation. La nouvelle rhétorique ; éditions de l'université de Bruxelles ; 6ieme Edition (2008).*
8. *Jean- Claude Anscombre ; Oswald Ducrot : L'argumentation dans la langue ; Pierre Mardaga ; Bruxelles.*